الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

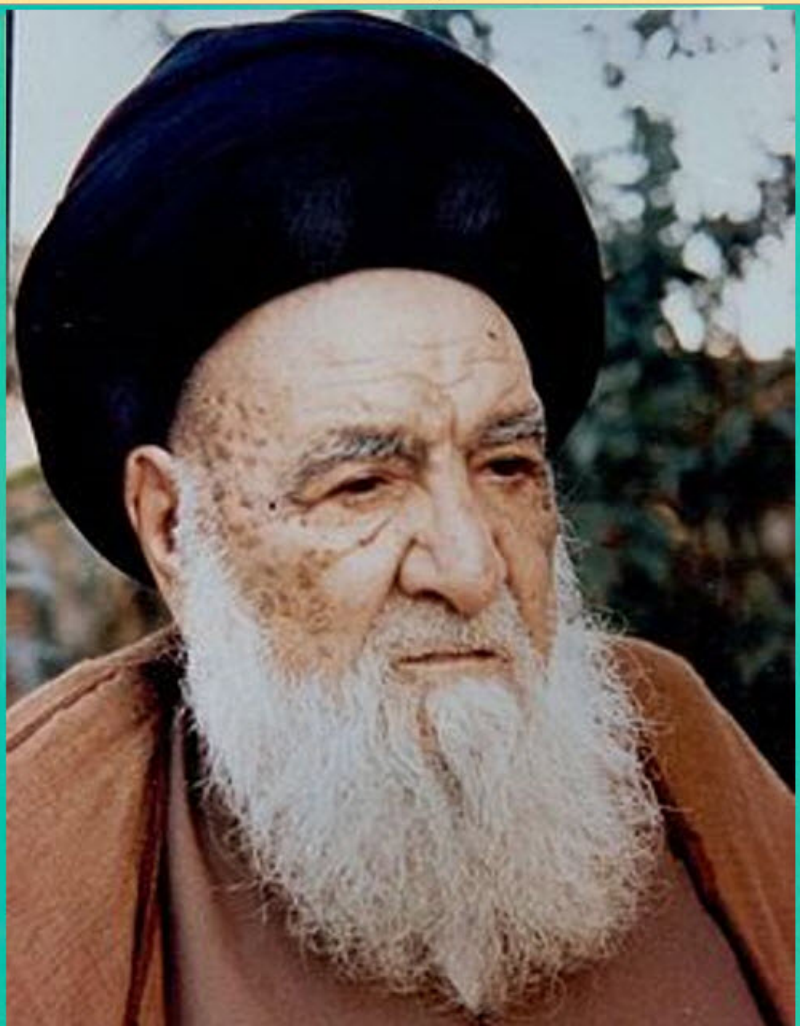

آرشيو مخطوطات
نازه رضا عوض الحلبية
٢١٢٣٠

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

لقاء في النجف

اجتماعي مع الامام الخوئي (قدس سره) كان مغمطناً حاسماً

د. محمد التيجاني السماوي

ان فضل الله علينا كبير لما هيأ لنا الاسباب وسألنا بقدرته الى النجف الاشرف مدينة العلم والفرد ومدينة الفخر والشرف حيث يوجد مرقد الامام امير المؤمنين (ع)باب مدينة العلم .

ولو شئنا تفسير الحديث النبوي الشريف القائل : «انا مدينة العلم وعلي بابها» لحق لنا ان نقول بأن علياً كان باب رسول الله في حياته وكان باب النجف في مماته ، لمن فضل علمه ومن فضل بركاته تخرج مئات الالاف من العلماء الفطاحل فلا ادري اتحول الخدير الى النجف ، ام ان النجف هو الخدير الفياض الذي لا ينضب معينه ولا يتناهى ساكنه ولا يمل زائره .

وكانت زيارتي للنجف لاول مرة في حياتي وكان الله سبحانه وتعالى قادني هناك لاطرق ذلك الباب الذي فتحه الرسول الاكرم (ص) لكل من اراد النجاة لنفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون . ولكن اي باب اطرق والابواب كثيرة ومتشابهة وانا الغريب عن المدينة بأسرها ؟

رجعت الى القاعدة القائلة : اهل مكة ادرى بشعابها ، واهل البيت ادرى بما فيه ، وسألت فكان الجواب : باب النجف هو السيد الخوئي زعيم الحوزة العلمية بلا منازع وكان اللقاء وكان السقاء وكان الخير كل الخير وكانت البركة وكان من نتيجة اللقاء (ثم اهتديت) الذي اهتدى به عشرات الالاف من المؤمنين ، ولتعميم الفائدة واحياءً لذكرى السيد الخوئي الفالدة لابأس باعادة ذلك اللقاء .

«ودخل السيد الخوئي ومعه كوكبة من العلماء عليهم هيبة ووقار ، وقام الصبيان وقمت معهم ، وتقدموا من السيد يقبلون يده وبقيت مسمراً في مكاني .

لم يجلس السيد حتى جلس الجميع وبدأ يحييهم بقوله «مساكم الله بالخير» يتولها لكل واحد منهم تسجيبه بالمثل حتى وصل دوري فأجبت كما سمعت ، بعدها اشار علي صديقي -الذي تكلم مع السيد همساً- بأن ادنو من السيد فاجلسني على يمينه . وبعد التحية قال لي صديقي : احك للسيد ماذا تسمعون عن الشيعة في تونس ؟ قلت : يا اخي كثيراً من الحكايات التي نسمعها من هنا وهناك ، والمهم هو ان اعرف بنفسي ماذا يقول الشيعة ، وعندي بعض الاسئلة اريد الجواب عليها بصراحة . فالح علي صديقي واصر على ان اروي للسيد ما هو اعتقادنا في الشيعة .

قلت : الشيعة عندنا هم اشد على الاسلام من اليهود والنصارى لان هؤلاء يعبدون الله ويؤمنون برسالة موسى بينما نسمع عن الشيعة انهم يعبدون علياً ويقدسونه ، ومنهم فرقة يعبدون الله ولكنهم ينزلون علياً بمنزلة رسول الله ، ورويت قصة جبريل كيف انه خان الامانة حسب ما يقولون وبدلاً من اداء الرسالة الى علي اداها لمحمد (ص) .

اطرق السيد هنيهة ثم نظر اليّ وقال: نحن نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وما علي الا عبد من عبيد الله ، والتفت الى بقية الحاضرين قائلاً ومشيراً اليّ : انظروا الى هؤلاء الابرياء كيف تغلطهم الاشاعات الكاذبة ، وهذا ليس بغريب فقد سمعت اكثر من ذلك من اشخاص آخرين ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ثم التفت الي وقال: هل قرأت القرآن ؟

قلت : حفظت نصفه ولم اتخط العاشرة من عمري ، قال : هل تعرف ان كل الفرق الاسلامية على اختلاف مذاهبها متفقة على القرآن الكريم ، فالقرآن الموجود عندنا هو نفسه موجود عندكم ، قلت نعم هذا اعرفه ، قال : اذاً الم تقرأ قول الله سبحانه وتعالى : «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل» وقوله ايضاً «محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار» وقوله :«ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ؟

قلت بلى اعرف هذه الآيات ، قال : فاين هو علي ؟ اذا كان قراننا يقول بأن محمداً هو رسول الله ، فمن اين جاءت هذه الفرية ؟ سكت ولم اجد جواباً . واضاف يقول : واما خيانة جبرئيل "حاشاه" فهذه اقبح من الاولى ، لان جبريل (ع) عندما ارسله الله سبحانه الى محمد كان عمره اربعين سنة ولم يكن علي الا صبياً صغيراً عمره ست او سبع سنوات فكيف يا ترى يخطئ جبرئيل ولا يفرق بين محمد الرجل وعلي الصبي ؟! ثم سكت طويلاً بينما بقيت افكر في اقواله وانا مطرق اطلل واتذوق هذا الحديث المنطقي الذي نفذ الى اعماقي وازال غشاوة عن بصري ، وتساءلت في داخلي كيف لم نحلل نحن بهذا المنطق ؟

اضاف السيد الخوئي يقول : وازيدك بأن الشيعة هي الفرقة الوحيدة من بين كل الفرق الاسلامية الاخرى التي تقول بعصمة الانبياء والائمة ، فاذا كان

التقينا سلام الله عليهم معصومين عن الخطأ ودم بشر مثلنا ، فكيف بجبرئيل وهو ملك مقرب سماه رب العزة «الروح الامين» ؟ قلت : فمن اين جاءت هذه الدعايات ؟

قال : من اعداء الاسلام الذين يريدون تفريق المسلمين وتمزيقهم وضرب بعضهم ببعض . والا فالمسلمون يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً وقرآنهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة ولا يختلف الشيعة مع السنة الا في الامور الفقهية كما تختلف المذاهب السنية انفسهم فيما بينهم ، فمالك يخالف ابا حنيفة ، وهذا يخالف الشافعي وهكذا ... قلت : اذاً كل ما يحكى عنكم هو محض افتراء ؟ قال : انت بحمد الله عالم وتفهم الامور ، وقد رأيت بلاد الشيعة وتجولت في اوساطهم ، فهل رأيت او سمعت شيئاً من تلك الاكاذيب ؟ قلت : لا لم اسمع ولم ار الا الخير واني احمد الله سبحانه ان عرفني بالاستاذ منعم في البداية ، فهو السبب في مجيئي الى العراق وقد عرفت اشياء كثيرة كنت اجهلها

تفسحك صديقي منعم قائلاً : وسنها وجود تيسير الامام علي ، فتمزقه واستدركت قائلاً ، بل تعلمت اشياء جديدة حتى من هؤلاء الصبيان وتمنيت لو اتيحت لي الفرصة وتعلمت مثلهم في الحوزة العلمية هنا ، قال السيد الخوئي : اهلاً وسهلاً ، ان كنت تريد طلب العلم فالحوزة العلمية على ذمتك ونحن في خدمتك .

ذهب الحاضرون بهذا الاقتراح وخصوصاً صديقي منعم الذي تهلل وجهه .

قلت انا متزوج وعندي ولدان . فقال : نحن نتكفل بكل مستلزماتكم من سكن ومعاش وكل ما تحتاجون اليه والمهم هو طلب العلم .

فكرت قليلاً وقلت في نفسي ليس من المعقول ان اصبح تلميذاً بعدما قضيت خمس سنوات وانا استاذ امارس التعليم وتربية النشئ ، وليس من السهولة ان اتخذ قراراً بمثل هذه السرعة . شكرت السيد الخوئي على هذا العرض وقلت سوف افكر في الموضوع بجد بعد رجوعي من العمرة بحول الله ، ولكني في حاجة الى بعض الكتب ، فقال السيد اعطوه الكتب ، ونهض جمع من العلماء وفتحوا عدة خزانات وما هي الا لحظات حتى وجدت امامي اكثر من سبعين مجلداً ، فكل واحد جاءني بدورة من الكتب وقال ، هذه هديتي ، ورأيت انه لا يمكنني حمل هذا العدد الكبير من الكتب معي خصوصاً واني متوجه الى السعودية الذين يمنعون دخول اي كتاب الى بلادهم خوفاً من تفشي بعض العقائد التي تخالف مذهبهم ، ولكني ما اردت التفريط في هذه الكتب التي لم تر عيني مثلها في سابق حياتي ، فقلت لصديقي وللحاضرين بأن طريقي طويل يمر بدمشق والاردن الى السعودية وفي الحدود سيكون الطرق فسائر بمصر وليبيا حتى الوصول الى تونس ، وزيادة على ثقل الحمل فان اغلب الدول تمنع دخول الكتب .

فقال السيد الخوئي : اترك لنا عنوانك ونحن نتكفل بارسالها اليك . واستحسنت هذا الرأي واعطيته بطاقة شخصية بها عنواني في تونس وشكرت فضله ولما ودعته ونهضت للخروج ، نهض معي قائلاً : اسأل الله لك السلامة واذا وقفت على قبر جدي رسول الله فبلغه مني السلام . وتأثر الحاضرون وتأثرت كثيراً وانا انظر الى عينيه تدمعان وقلت في نفسي حاشا لله ان يكون هذا من المخطئين حاشا لله ان يكون هذا من الكاذبين ، إن هيبته وعظمته وتواضعه تنبئ عقلاً انه من سلالة الشرف ، فما كان مني الا ان اخذت يده وقبلتها رغم ممانعته .

فقرة من كتاب ثم اهتديت

الرجل الذي ما اذكره الا وتفيض عيني بالدموع لما اصابه من ابتلاء في أمر حياته التي زينا اغلبيتها بالعطاء وبذل الغير .

اذكر تواضعه وكيف كان استقباله لي ورغم ما سمعه مني من شتم للشيعة في اول لقاء الا انه قابلني بالاحسان وافهمني بلطفه وحكمته ما خفي علي من امور الدين اذكر كيف اقنعني بالحجة الواضحة وبدون تعسف ولا تكلف حتى سلك عقلي وقلبي وكل حواسي ومشاعري .. اذكر كيف كان وعيه لجمع كلمة المسلمين اذ قال : فالمسلمون كلهم اخوة سواء كانوا شيعة أم سنة ...

كما كان وعيه كبيراً بخطورة الموقف الذي تمر به الامة الاسلامية اذ قال : جاءت هذه الدعايات من اعداء الاسلام الذين يريدون تفريق المسلمين وتمزيقهم وضرب بعضهم ببعض ... اذكر حرصه الشديد على نشر علوم اهل البيت (ع) في كل بقاع الدنيا وتفانيه في خدمتهم بما لديه من نفوذ روحي واخلاقي اذ قال : اهلاً وسهلاً بك ، ان كنت تريد طلب العلم فالحوزة العلمية على ذمتك ونحن في خدمتك ... اذكر بذله وعطاءه اللامحدود من اجل نشر العلم والمعرفة وهداية الناس الى الحق اذ قال : نحن نتكفل بكل مستلزماتكم من سكن ومعاش وكل ما تحتاجون اليه والمهم هو طلب العلم . اذكر سخاءه وجوده وحسن تدبيره عندما خشيت من حمل الكتب قال : اترك لنا عنوانك ونحن نتكفل بارسالها اليك ، كما اذكر اخلاصه ووفاءه بالوعد اذ انني فوجئت عند دخولي الى منزلي بكثرة الكتب التي وصلت قبلي وعرفت مصدرها ، ولما فتحت تلك الكتب التي ملأت البيت ازددت حباً وتقديراً لاولئك الذين لا يخلفون وعدهم وقد وجدت هنا اضعاف ما اهدي الي هناك ... اذكر متابعته لنا من بعيد اذ كان يراسلنا ويجود علينا بتعاليمه القيمة ونصائحه الغالية التي افادتنا في مستقبلنا .. اذكر تفهمه للاوضاع وبعد النظر الذي كان يتميز به اذ قلت له بعد الاستبصار والحصول على وكالة منه : ان المستبصرين عندنا في تونس لديهم بعض الحقوق الشرعية فكيف نوصلها اليكم ؟ قال : اصرفوها في شراء الكتب النافعة وفي اعانة بعض المستبصرين لاداء فريضة الحج وفي كل اعمال الخير ... اذكر حسن اخلاقه وملاطفته لي عندما كنت اصلي خلفه مباشرة الى جانب الشيخ عبد الله الخنيزي وكنت مقصّر الصلاة وانهال علي المصلي على يميني بالتقريع لانني قطعت صلته بالامام وحاول الشيخ الخنيزي اقناعه بصحة صلاته ولكنه لم يسكت فالتفت اليه

السيد الخوئي واقنعه بصحة صلاته كما التفت الي معتذراً عما صدر من هذا المصلي .

اذكر تعاليمه وتربيته لي شخصياً تربية عملية سوف لن انساها مدى الدهر لانها سبب سعادتي وهنائي . بعد الاستبصار ضاقت اخواني ونفرت من زوجتي واصبحت كثير الخصام معها وفكرت في تطليقها والتخلص منها رغم وجود ثلاثة اولاد بيننا . وسافرت للنجف الاشرف وقابلت السيد الخوئي واستفتيته في تطليقها ، قال لماذا ؟ قلت : اولاً عقد زواجنا كان بالبلدية ولم يكن على يد العدول ، قال ثم ماذا ؟ قلت : انها لا تصلي ولا تتحجب فقال : اولاً : عقد الزواج في البلدية عقد شرعي صحيح لا شبهة فيه ما دمت موافق عليه انت وزوجتك . اما تطليقها من اجل ترك الصلاة والحجاب فلا يجوز لانها مسلمة مكلفة مثلك تماماً وحسابها على الله . ولكن واجبك ان تدلها وتعلمها ان جهلت ذلك اما ان تطلقها وتحطم اسرتك وتضيع اولادك فلا يجوز لك ذلك فابغض الحلال الى الله الطلاق .

حاولت ان اجد مخرجاً آخر فقلت : سيدي انها مقصرة في واجباتها ، قال وفي اي شيء ذلك ؟ قلت : ارجع الى البيت فلا اجد الطعام حاضراً ويأتيني الضيوف فتنفر وتتأفف ، فقاطعني السيد قائلاً : الاسلام اوضح حقوق المرأة وواجباتها . فواجباتها ثلاثة :

اولاً : حق الفراش .

ثانياً : ان لا تخرج من البيت الا باذنك .

ثالثاً : ان لا تدخل في بيتك من لا تحب .

اما حقوقها عليك فكثيرة وكل ما تفعله الزوجة من خدمة البيت وطبخ الطعام وغسل الثياب كله بفضلها وحزيتوا ولو شاءت طلبتك بالاجر .

اندهشت عندما سمعت ذلك وقلت مستحيراً حتى طبخ الطعام هو من فضلها؟! قال : نعم ، فلو قالت لك زوجتك بوجوب شراء الطعام من المطعم او جلب خادم لطبخ الطعام وجب عليك ذلك . ولما رأى السيد الخوئي حيرتي واندهاشي ابتسم لي قائلاً : حتى لو طلبت منك اجرة الرضاعة لاولادك فمن حقها . قلت هم ايضاً اولادها ! قال نعم ، ولكنهم يحملون اسمك ولا يحملون اسمها . والقرآن قد اوضح كل هذه الامور بالاجمال ورسول الله والائمة من عترته عليهم الصلاة والسلام بينوا لنا كل الامور بالتفصيل .

وبعد ذلك اخذ السيد ينصحني في دعابة وابتسام بان اغير رأيي واحتفظ بزوجتي فعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وامرني ان احسن اليها بالهدايا والمعاملة . ورجعت الى وطني بفكر جديد وبعقلية متفتحة وعاشرت زوجتي معاشرة المسلم الذي استبصر على اهل البيت (ع) وبدأت الاطفها وبدأت تتغير ولم تمض سنة واحدة الا واستجابت وداومت على الصلاة واصبحت حياتنا كلها محبة وسعادة بعدما كانت بغضاً وتعاسة . ولم يمر شهر في حياتنا الا ونزداد الفة ووئاماً فاتذكر السيد الخوئي وادعو له بكل جوارحي فلولاه لم اتذوق طعم الحياة الآمنة والنفس المطمئنة وانني لم اكتف بنصائحه الثمينة واستغلها لنفسي فحسب بل روجتها عند كل المستبصرين وغيرهم واصلحت ذات البين في كثير من العائلات التي كانت تعيش نفس المشاكل الوهمية التي هي نتيجة الانانية ويلعب الشيطان فيها دوره ليصبح البيت جحيماً لا يطاق وبحمد الله وبتعاليم السيد الخوئي ساد التفاهم ووفق الله بين كثير من الازواج ونسائهم .

وهكذا يكون العلماء العاملون المخلصون ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «انما النصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين» .

بقي ان اذكر مدى المحبة والاحترام والاجلال الذي يكنه اغلب المسلمين الشيعة الذين قابلتهم سواء في النجف والكوفة او في العراق بأكمله للسيد الخوئي ، بل لست مبالغاً اذا قلت بأن في الهند وفي افريقيا وفي مدغشقر وفي باكستان وجدت اكثر مما وجدته في العراق من التعظيم والتبجيل والتفضيل لسيادته . واذا تكلمت عن الشيعة فالمقصود علماءهم ومثقفوهم وعلى رأس هؤلاء الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه قلت له مرة : انا افتخر في تونس بأن تكون انت والسيد الخوئي اساتذتي ، فقال في حياء : «انا طلبة ، والسيد الخوئي ابقاه الله استاذنا جميعاً» . هذا وللسيد الخوئي رضوان الله عليه شمائل وخصائص من امير المؤمنين علي عليه السلام فهو مع غزارة علمه وكثرة ذكائه ومع هيبته ووقاره كان ذا دعابة ويمزح مع جلسائه . كنت يوماً في بيته بالكوفة وحوله نفر من العلماء وكان عنده رجل تري الجسم يقوم ببعض الخدمات بين يديه فتكلم السيد بالفارسية ليقول نكتة في هذا الرجل ، والتفت الي السيد قائلاً : هل فهمت شيئاً ؟ قلت لا . فقال تعلم الفارسية لكي تضحك معنا . فضحكنا جميعاً .

ولا يفوتني ان اذكر اهتمامه الكبير بكل المستبصرين فزيادة على الرسائل التي كان يرسلها من حين لآخر الينا يستفسر فيها على احوال المؤمنين ، فهو كل ما زرته في الصيف يسألني عن كل صغيرة وكبيرة وكل شاردة وواردة تخص المستبصرين واهاليهم وعشيرتهم ، حتى سألني مرة عن عدد المتزوجين من المستبصرين واولادهم . هذا وقد حضني السيد الخوئي رضوان الله عليه بمحبة واحترام وتقدير كل المستبصرين في المغرب العربي والذين بقوا على تقليده حتى بعد وفاته . وقد وردت علي رسالة من الجزائر ابان وفاة السيد الخوئي (قده) تحمل اسمى معاني التعازي وتقول صاحبتها بانها وزوجها المستبصرين اجلا موعد زفافهما من اجل وفاة السيد الخوئي رضوان الله عليه .

ونحن بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته نرفع تعازينا الى كل اتباع اهل البيت في مشارق الارض ومغاربها ونعظم الله لنا الاجر والثواب في الفقيد الجليل الذي ملأ علمه وتلامذته الخافقين . قال رسول الله (ص) مداد العلماء افضل عند الله من دماء الشهداء .

«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»